المدينة . ومن هنا فان الكيبوتز بالنسبة لهم موظف كاي رأسمالي آخر ، سوى ان الرأسماليين لا يبشرون بالاشتراكية . وعندما ينشب اضراب في مصنع كيبوتز ، فان الملاك يستدعون الشرطة دون وازع »(٢٨).

ليس هذا من حيث المبدأ أمرا جديدا . فقد دأب الكثير من الكيبوتزات على استئجار نساء عربيات او يهوديات شرقيات لتنظيف المراحيض الخ . وصحيح أن هذا التطور لم يحصل دون نقاش وان بعض الكيبوتزات رفضت استئجار اناس من خارجها . ولكن هذا النقاش اساسا هو ذاته الذي ما زال مستمرا منذ نصف قرن في المستعمرة الصهيونية : ما اذا كان يجب استخدام العمل العربي او التخلص من العرب . ففي الحالة الثانية ، الطابع « اليهودي » لاسرائيل هو المسألة موضع الاهتمام . أما في الحالة الاولى فان الطابع « الاشتراكي » للكيبوتز هو المسألة . وفي كلتا الحالتين ، البديلان متساويان في الخطأ لان نقطتي انطلاقهما خطأ . وليست مشاكل الكيبوتز فيما يتعلق بالعمل المأجور شيئا منفصلا عن علاقته بالطبقة العاملة عموما — ففي بداية العام ١٩٧٠ شاركت الكيبوتزات الموظفين (بكسر الظاء) الاخرين في الوقوف ضد اضراب عمال احواض السفن في حيفا، وطالبت الحكومة باتخاذ اجراءات ضد الاضراب الذي كان يتهدد بالخطر تصدير برتقالها .

يعيش اليوم في الكيبوتزات ٩٠ ألف شخص او ٤٪ من سكان اسرائيل « مجتمع الكيبوتز هو النخبة المعترف بها لاكبر حركة سياسية في البلاد ، الحركة العمالية ... »(٢٩) والتشكك في الكيبوتز وأسسه الايديولوجية مرادف في اسرائيل للتقصير في التكيف الاجتماعي . « وقد لا يكون هناك اشارة للقوة التي تتمتع بها أنماط التفكير الكيبوتزية افضل من الاحتجاج عليها — احتجاج عنيف وعلى نطاق واسع — من جانب الجماعات الهامشية وعلى الاخص في الاحياء الفقيرة . ويأخذ الاستلاب في حالة المراهقين الاكثر عزلة والمعادين للمجتمع ، الذين تحاول الخدمات الترفيهية الاجتماعية الوصول اليهم والذين بدأت تصلهم هذه الخدمات ، يأخذ شكل رفض مفاهيم الكيبوتز التي يشعر هؤلاء انها جوهر الايديولوجيا الرسمية »(٣٠).

يوضح نقاد آخرون للصهيونية الاشتراكية ان الكيبوتزات. « انحطت » لانها « جزر اشتراكية » في مجتمع رأسمالي.وهم يشيرون مثلا الى الاستغلال الجماعي الذي تمارسه الكيبوتزات على العمل المأجور من خارجها ، ويصفون ذلك بأنه أحد أعراض « انتصار » المجتمع المحيط بـ « الجزر الاشتراكية » عليها . لكن الواقع أن الجزر لم تكن اشتراكية ابدا ، الا بالمفهوم المثالي البورجوازي الصغير . فقد كانت هذه الجزر منذ البداية اجزاء لا تتجزأ من المجتمع الرأسمالي الاستعماري الذي أنشأه الصهيونيون ، واعضاء الكيبوتز ملاك مشتركون لمشاريع زراعية رأسمالية — استعمارية وقد كانوا كذلك دوما ، بغض النظر عن كل حديثهم عن « الاشتراكية » و« التضامن الاممي » . ان هؤلاء النقاد الاخرين يخطئون فيما يتعلق بالتحليل الطبقي وكذلك فيما يتعلق بالمعرفة التاريخية ، ولذا فهم لا يستطيعون ان يروا ان ما حدث خلال العقود الاخيرة هو ان الكيبوتزات اجبرت على الكشف عن تناقضها مع البروليتاريا في اسرائيل . ولا يكاد هذا يكون اكتشافا مثيرا بالنسبة لاشتراكي فلسطيني جذوره ضاربة في البروليتاريا الزراعية الفلسطينية.

ستيفان بكمان

---

٢٨ — المنظمة الاشتراكية الاسرائيلية ، المصدر السابق ٢١ — ٢٢ .

٢٩ — نيو اوتلوك ، ايلول — تشرين الاول ١٩٧٠ ، ص ٦٢ .

٣٠ — المصدر ذاته ، ص ٦٣ .